روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

ذئاب ودماء

٥٣



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

رجل المستحيل • ذئاب ودماء • ٥٣ • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة •

المؤلف



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زاخرة
بالأحداث
المثيرة

٥٣

ذئاب ودماء

- هل سيبقى (أدهم) على قيد الحياة، ليواصل صراعه مع ذئاب الجبال؟
- لماذا سالت الدماء أنهارًا، فى أعماق جبال (الإنديز)؟
- لمن سيكون النصر، وسط ذلك الفيض من الذئاب والدماء؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة؛ لترى كيف يعمل (رجل المستحيل).



العدد القادم : رحلة الهلاك

أوقفه (أدهم) فجأة فى حِدّة ، والتفت إلى (منى) ، قائلا :

ــ صوِّبى مسدسك إلى رأس هذا الخنزير يا (منى) ، وأطلقى النار بلا رحمة ، إذا ما بدت منه أيه محاولة للفرار .

صوَّبت (منى) مسدّسها إلى رأس (سانشو) ، وسألت (أدهم) فى قلق :

ــ ماذا تنوى أن تفعل ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

ــ تقدّمى أنت عبر الممرّ يا (منى) ، وسأحاول أنا إيقاف القادمين .

عادت تسأله فى عناد وقلق :

ــ ولكن كيف ؟

صمت لحظة ، ثم قال :

ــ سأنتظر وصولهم إلى الممرّ ، ثم أطلق النار على الألغام المدفونة فيه ..

وابتسم فى سخرية ، وهو يردف :

ــ سأقلب وسائلهم الدفاعية على رءوسهم كالعادة يا عزيزتى .

* * *

تحرك (سانشو) عبر الممر فى حنق ، و (منى) تتبع خطواته ، ومسدّسها مصوَّب إلى رأسه ، وغمغم هو فى سخط :

ــ لن ينجح زميلك أيتها الفتاة .

عقدت (منى) حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :

ــ لقد أصبح قولك هذا مكرّراً سخيفًا أيها الخنزير .

قال (سانشو) فى هدوء أدهشها :

ــ هل تعلمين أن ذخيرة مدفعه الرشاش قد قاربت على النفاد ؟ .. وأنه لا يملك ذخيرة إضافية ؟

أجابته فى حدّة :

ــ لا تدع هذا يشغلك ، سيلغى (أدهم) النظام الآلى للمدفع الرشاش ، وسيحوّله إلى بندقية ، تطلق رصاصاتها واحدة بعد الأخرى ، وستكون لديه ــ حينئذ ــ عشر رصاصات ، وهى تكفيه .

غمغم (سانشو) فى صوت أقرب إلى السخرية :

ــ إنها لن تكفيه .

قالت فى غلظة :

ــ تذكر أن كل واحدة منها ستتحوّل إلى قنبلة ، حينما تصيب اللّغم .

أطلق (سانشو) ضحكة ساخرة خافتة ، وقال :

ــ هذا ما أريد قوله يا فتاتى ، فتلك الألغام لن تنفجر إذا ما أطلق عليها النار ، إنها معدّة للانفجار تحت تأثير الثقل المباشر فحسب .

توقّفت (منى) بغتةً ، وشحب وجهها فى توتر ، وهى تغمغم فى جزع :

ــ يا إلٰهى !! .. (أدهم) .

وفى نفس اللحظة التى نطقت فيها بعبارتها الملتاعة ، كان (أدهم) يصوِّب سلاحه إلى أحد الأماكن ، التى تحاشاها (سانشو) ، وينتظر حتى تعبر ذئاب الجبال ، ثم يطلق النار ..

* * *



١٠ ــ الانفجار ..

كان (أدهم) يتوقع انفجارًا قويًّا ، حينما أطلق رصاصته الأولى نحو النقطة ، التى توقّع وجود اللّغم فيها ، ولكن الرصاصة لم تسفر إلا عن دوىّ متردّد فى أنحاء الممر ، وصوت ارتطام معدنى بسطح اللّغم ، وإعلان عن وجود (أدهم) ..

وقفز (جارسيا) مختفيًا خلف أحد الصخور .. وصاح فى رجاله :

ــ اختبئوا يا رجال ، وأطلقوا النار ، لقد نجح الشيطان فى احتلال الطريق إلى الجحيم .

أخذ الذئاب يطلقون رصاصاتهم نحو الصخرة التى يحتمى خلفها (أدهم) ، فى حين غمغم هو فى سخط :

ــ اللعنة !! هذه الألغام لن تنفجر بإطلاق رصاصاتى .

ثم استطرد فى حَنَق :

ــ يا له من موقف !! أقل من عشر رصاصات فى مواجهة خمسين رجلاً ، وفى منطقة منبسطة ، يصعب العدو فيها ، دون أن يصاب المرء بعشر رصاصات على الأقل .

كان صوت الرصاصات التى ترتطم بالصخرة ، التى يحتمى

خلفها ، مخيفًا مزعجًا ، ولكنه استرخى فى هدوء ، وهو يقول لنفسه :

ــ أهى النهاية يا (أدهم) ، .. أم أنه هناك وسيلة للفرار ؟

وفجأة تألقت عيناه ، وهتف فى انفعال :

ــ بالطبع هناك وسيلة للفرار .

وأغلق عينيه فى قوة ، وهو يحاول استعادة مشهد ما فى ذاكرته ، ثم ابتسم فى سخرية ، وقال :

ــ سيحدث الانفجار ، حتى وإن رفضت الألغام أيها الأوغاد .

ثم برز من خلف الصخرة فجأة ، وأطلق كل الرصاصات الباقية فى مدفعه الرشاش ، نحو نقطه واحدة ، حدَّدتها ذاكرته مسبقًا ..

★ ★ ★

كانت براعة نادرة من (أدهم) ، أن يختار هذا الهدف بالذات ..

لقد استعادت ذاكرته مشهد حرَّاس الممر الخمسة ، وهم يخرجون الصندوق الخشبى ، الممتلئ بالقنابل اليدوية ، من الكهف الصغير ، واختار هذا الصندوق هدفًا لرصاصاته ..

وأصابت الرصاصات هدفها فى براعة ، وانفجرت القنابل اليدوية ..

انفجرت انفجارًا هائلاً ، تردَّد صداه فى جبال (الإنديز) كلها ، وانهارت له الصخور من جنبات الممرّ ، ولم تكد تسقط فوق الألغام المزروعة فى باطنه ، حتى انفجرت بدورها ، واستحقَّ الممرّ عن جدارة اسم (الطريق إلى الجحيم) ..

وتصلَّبت (منى) مع دوىّ الانفجار الهائل ، وارتجفت أطرافها ، وهى تهتف فى جزع :

ــ ربَّاه !! .. (أدهم) ؟!

وفجأة انقضّ (سانشو) بجسده الضخم على جسدها الضئيل ، وأطاح بمسدسها بضربة قوية عنيفة ..

حاولت (منى) أن تقاومه فى شراسة ، ولكن قوتها لم تكن تساوى شيئًا أمام عضلات (سانشو) المفتولة ، وجسده الضخم ، وقسوته ..

لقد لكمها زعيم الذئاب فى قسوة بالغة .. ودفعها لترتطم بالصخور ، ثم قفز والتقط مسدسها ، وصوَّبه إليها ، وهو يهتف فى وحشية :

ــ لقد خسرت أيتها المصرية .



ودفعها لترتطم بالصخور ، ثم قفز والتقط مسدسها ،
وصـــوَّبه إليهـــا ..

نهضت (منى) فى صعوبة ، وهى تشعر بآلام رهيبة فى جسدها ، من أثر ارتطامها بالصخور ، وقالت فى حَنق :

ــ هذا الانفجار يؤكد أنّ (أدهم) قد نجح .

ابتسم (سانشو) فى سخرية وشراسة ، وهو يقول :

ــ هذا الانفجار الهائل ، يؤكد أن نصف الممرّ الذى عبرناه قد تحوَّل إلى فتات صخور ، وأن الجميع قد لقُوا حتفهم ، حتى شيطانك المصرى .

هتف فى اشمئزاز :

ــ ألا يعنيك مصرع رجالك ؟

لوَّح بذراعه فى حَنَق ، وهو يقول فى خشونة :

ــ فليذهب الجميع إلى الجحيم .. المهم أن أبقى أنا .

ثم رفع مسدسه إلى رأسها ، وهو يردف فى وحشية :

ــ أنا فقط .. وداعًا أيتها المصرية .

★ ★ ★

بدا المشهد فى اللحظة التالية كالمعجزة ؛ فقد برز (أدهم) فجأة ، وانقضّ على (سانشو) كفهد يثب على فريسته ، وركل مسدس (سانشو) فى مهارة ، ورشاقة ، وسرعة ، ثم غاص بقبضته فى معدته ، وهوى بقبضته الأخرى على فك

(سانشو) ، الذى ترنّح من فرط ألمه وذهوله ، وسقط أرضًا جاحظ العينين ، وهتف فى رعب هائل ، وهو يتطلّع إلى (أدهم) :

ـــ هذا مستحيل !! أنت لست بشرًا .. هذا مستحيل !!

أسرعت (منى) إلى (أدهم) ، وهى تهتف فى مرح :

ـــ (أدهم) .. حمدًا لله على سلامتك .. لقد أصبحت أشبه بملاكى الحارس .

ابتسم فى حنان ، وهو يربُت على شعرها ، قائلاً :

ـــ إنها أول مرة يخاطبنى فيها أحد بخلاف لفظ الشيطان ، الذى أمقته تمامًا يا عزيزتى .

ثم انحنى فى هدوء ، والتقط المسدّس ، وصوّبه إلى (سانشو) ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ هيّا أيها الوغد .. مازال الطريق أمامنا طويلاً .

كانت انتصارات (أدهم) المتوالية المذهلة ، ونجاته من أهوال شتى ، يشيب لها الولدان ، قد حطّمت (سانشو) ، وأنهكت جسده ومعنوياته ، حتى أنه بدا كعجوز متهالك ، وهو يغمغم فى ضراعة :

ـــ الرحمة يا سنيور (أدهم) !! اتركنى أرجوك .. سأوصلك إلى نهاية الممر ، ونفترق .

قال (أدهم) فى برود :

ـــ لن نفترق إلا فى السفارة المصرية أيها الحقير .

ثم أردف فى صرامة :

ـــ لقد وعدت السفير ، وسأحقّق وعدى له ، مهما كان الثمن .

* * *

تطلّع (جارسيا) فى ألم ، وذهول ، إلى ما بقى من الطريق إلى الجحيم ، بعد هدوء الموقف ، وهتف فى حَنَق :

ـــ يا للشيطان !! .. لقد انهار الممر تمامًا .

ثم التفت إلى أحد الناجين من رجاله ، وسأله فى ضيق :

ـــ كم بقى منا ؟

أجابه الرجل فيما يشبه الانهيار :

ـــ أنا وأنت ورجلان فقط يا (جارسيا) .. لقد حطّم ذلك الشيطان المصرىّ كل شىء . انتهت منظمة (ذئاب الجبال) .

عضّ (جارسيا) شفته السفلى فى ألم ، وقال :

ـــ سيدفع الثمن .

ثم عاد يسأل الرجل فى توتّر :

ـــ تُرى هل لقى مصرعه أيضًا مع الانفجار ؟

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ لا يا (جارسيا) ، لقد رأيته يقفز فوق الصخور ، ويعود كالشيطان ، فى نفس اللحظة التى دوّى فيها الانفجار .

زفر (جارسيا) فى غضب ، وهو يردّد :

ـــ سيدفع الثمن .

غمغم الرجل فى تردّد :

ـــ إننا أربعة رجال فحسب يا (جارسيا) ، وأحدنا مصاب بجرح فى ذراعه .

صاح (جارسيا) فى جنون :

ـــ سأواصل المطاردة ، حتى وإن بقيت وحدى أيها الرجل .

ثم استطرد فى وحشية :

ـــ لن يحمل هذا الشيطان أبدًا لقب الرجل الذى هزم (ذئاب الجبال) .

* * *

اجتاز (أدهم) و (منى) و (سانشو) الطريق إلى الجحيم ، وأسرعوا الخطا ، فى محاولة للوصول إلى سفح الجبل ، قبل حلول الظلام ، وقال (سانشو) فى ضراعة :

ـــ لقد وصلت إلى نقطة آمنة يا سنيور (أدهم) .. اتركنى الآن .. أرجوك .

أجابه (أدهم) فى صرامة واقتضاب :

ـــ محال .

ترقرقت الدموع فى عينى (سانشو) ، معلنةً عن هزيمته ، ومذلّته ، وهو يقول :

ـــ الرحمة يا سنيور (أدهم) !! لقد تحطّمت منظمتى ، وأصبحت رجلاً وحيدًا ، ولو أننى وطئت أرض (ليما) بقدمىّ على هذه الحالة ، لالتفّ حبل المشنقة حول عنقى .

غمغم (أدهم) فى برود :

ـــ أنت تستحق ذلك .

وفجأة انتعش الأمل فى قلب (سانشو) ، حينما دوّى صوت رصاصات مدفع رشاش ، وارتطمت الرصاصات بالصخور حول الثلاثة .. وبرز وجه (جارسيا) من أعلى هضبة قريبة ، وهو يقول فى شراسة :

ـــ إنها نهايتك أيها الشيطان المصرىّ .

* * *

١١ ـ دماء عند سفح الجبل ..

موقف عصيب آخر فى هذه المهمة المعقَّدة ..

أربعة رجال يطلقون مدافعهم الرشاشة فى شراسة ، و (أدهم) لا يملك إلّا مسدَّسًا واحدًا ، يحمل خمس رصاصات فقط ، والطريق الممهَّد على بعد أمتار قليلة ..

ولكن إصرار (أدهم) وإرادته كانا أقوى من رصاصات المدافع الرشاشة ..

لقد دفع (سانشو) أمامه فى عنف وخشونة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ضع كل قوتك فى قدميك أيها الخنزير ، وحاول أن تعدو بكل ما تملك من قوَّة ، وإلّا أفرغت رصاصات مدفعى الرشاش فى رأسك .

دفع الخوف (سانشو) إلى العَدْوِ ، بكل ما يملك من قوَّة ، وخلفه (أدهم) و (منى) ، ورصاصات المدافع الرشاشة تنهمر حولهم كالمطر ، و (جارسيا) يصرخ فى جنون :

ـ لا تتركوه يهرب .. أريقوا دماءه عند سفح الجبل .

ولكن (أدهم) ورفيقيه وصلوا إلى سفح الجبل ، حيث

يمتد الطريق الممهَّد ، وتلفَّتت (منى) حولها فى ذعر ، وهى تقول :

ـ لا توجد سيارة واحدة هنا .

صاح بها (أدهم) :

ـ استمرى فى العَدْوِ يا (منى) .. كل دقيقة نضيعها تجعل هؤلاء الأوغاد أقرب .

لم يكن من الممكن أن يضيع (سانشو) الفرصة الأخيرة لنجاته بهذه البساطة ؛ لذا فقد تظاهر بالتعثر ، وألقى جسده أرضًا ، وهو يصرخ بألم مصطنع :

ـ لقد التوى كاحلى .. لن يمكننى المواصلة .

جذبه (أدهم) فى عنف ، وهو يقول فى صرامة :

ـ انهض أيها المخادع ، ستواصل العَدْوَ ، ولو بساق خشبية .

ولكن رغبة (سانشو) فى النجاة من حبل المشنقة ، كانت تفوق رغبة (أدهم) فى الوصول به إلى السِّفارة المصرية ، ولقد دفعته رغبته فى البقاء إلى الانقضاض على (أدهم) بغتةً ، والقبض على معصم اليد ، التى تمسك بالمسدَّس ، وهو يصرخ فى أمل أخير :

ـ إلىَّ يا رجال !! إلىَّ يا ذئاب الجبال !!

★ ★ ★

تفجَّر غضب (أدهم) هادرًا ، مع انقضاضة (سانشو) ، فى وسط هذه الظروف المعقَّدة ، وتحوَّل غضبه إلى لكمة ساحقة ، حطَّمت فك (سانشو) .. وكسرت نصف صف أسنانه الأمامية ، وتركه (أدهم) يسقط أرضًا ، واستدار فى سرعة مذهلة ، وأطلق رصاصة من مسدَّسه ، اخترقت رأس أحد الذئاب الأربعة ، الذين يطاردونه فى شراسة ، وقفز متفاديًا سيل رصاصات المدفع الرشاش ، التى انهالت عليه ، وأطلق رصاصة أخرى ، سقط بعدها الذئب الثانى مجندلاً ، فقفز (جارسيا) ، والرجل الباقى معه خلف الصخور ، وهتف (جارسيا) فى غضب :

ـ هذا الشيطان اللعين كالقدر .. لا تطيش رصاصاته أبدًا .

لم تصل هذه العبارة إلى مسامع (أدهم) ، الذى انحنى يحمل جسد (سانشو) الضخم على كتفيه ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ هَلُمَّ يا (منى) .. سنبتعد عن هنا بقدر الإمكان .

هتفت (منى) فى حَنَق ، وهى تعدو إلى جواره :

ـ ألق هذا الحمل القذر عن كتفيك .. إنه يعوق فرارنا

أجابها فى صرامة :

ـ سأخسر كل ما فعلت ، لو أننى تركته .

لم يكد يتم عبارته ، حتى برزت سيارة فى الطريق ، تنطلق نحو (ليما) ، فلوَّح (أدهم) لقائدها بيده ، هاتفًا :

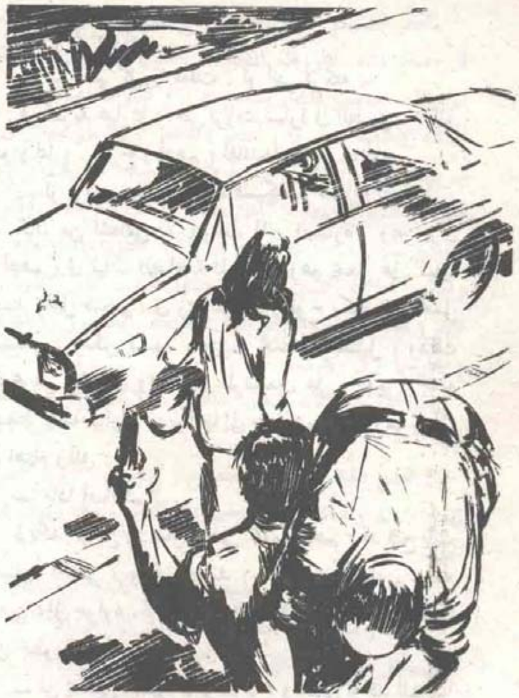
ـ لو توقَّف هذا الرجل ، فسيكتب النجاح لعمليتنا .

كان من المنطقى ألّا يتوقَّف قائد السيارة ، وهو يرى (أدهم) فى ثياب الصاعقة الممزَّقة ، وهو يحمل على كتفيه جسد رجل ضخم ، فى زى مماثل ، ويلوِّح بكفه التى تحمل المسدَّس ، ولكن مشهد (منى) بجسدها الضئيل ، وذلك المزيج من الإرهاق والذعر ، المرتسمين على وجهها ، جعله يضغط كابحة سيارته ، ويوقفها إلى جوارهم تمامًا ، وهو يسأل فى اهتمام وقلق :

ـ ماذا أصابكم ؟

لم يكد الرجل يتم عبارته حتى كان (أدهم) قد فتح باب السيارة الخلفى ، وألقى جسد (سانشو) داخله ، ودفع (منى) إلى جواره ، ثم قال لقائد السيارة فى لهجة جادَّة ، تشف عن خطورة الموقف :

ـ لن يمكننى تفسير الأمر الآن ، ولكننى أؤكد لك أننا



وهو يرى (أدهم) فى ثياب الصاعقة الممزّقة ،
وهو يحمل على كتفيه جسد رجل ضخم ..

فى الجانب الخيِّر من الحياة ، وأن نجاتنا جميعًا تعتمد على أن تترك لى قيادة السيارة .

شىء ما فى كلمات (أدهم) ، أو مظهره ، أو أسلوبه ، جعل الرجل يتنازل عن مقعد القيادة فورًا ، ويقفز إلى المقعد المجاور ، ويتطلّع إلى (أدهم) فى دهشة ، وهو يقفز خلف عجلة القيادة ، وينطلق بالسيارة فى مهارة تستحق الإعجاب ..

وأيًا ما كان هذا الشىء ، فلا ريب أن رصاصات المدفعين الرشاشين ، اللذين أطلقهما (جارسيا) وزميله على السيارة ، كانت السبب الرئيسى لسرعة استجابة الرجل ودهشته ، وإن لم يمنعه هذا من أن يسأل (أدهم) فى توتُّر :

ــ مِن أنتم ؟ .. وماذا يحدث هنا ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ــ إنها قصة طويلة يا سنيور .

هتف الرجل فى عصبية :

ــ من حقى أن أعرفها ، مادامت سيارتى ستشارك فيها .

مطّ (أدهم) شفتيه ، دون أن يجيب ، فى حين غمغمت (منى) :

ــ هل يكفيك أن تعلم ، أن هذا الخنزير الفاقد الوعى إلى جوارى ، هو (سانشو) ، زعيم ذئاب الجبال ؟

شحب وجه الرجل ، وانكمش فى مقعده ، وهو يغمغم فى رعب :

ــ (سانشو) ؟! .. هل .. هل أنتما من ذئاب الجبال أيضًا ؟

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ لا يا سنيور .. لقد انهارت منظمة ذئاب الجبال ، إنهارت إلى الأبد .

أتاه صوت (منى) ، يقول فى اضطراب واضح :

ــ يبدو أن هذا سابق لأوانه يا (أدهم) ، فهناك سيارة قوية تطاردنا ، وتطلّ من نافذتها ماسورة مدفع رشاش .

* * *

ضغط (جارسيا) دوّاسة الوقود فى سيارته بقوة ، وهو يقول فى شراسة :

ــ من سوء حظك أن عبرت هذه السيارة القوية بعد فرارك أيها الشيطان المصرىّ ، إن سرعة سيارتك الصغيرة لن تنافس سرعة هذه السيارة أبدًا .

قال الرجل الجالس إلى جواره فى قلق :

ــ من حسن حظنا نحن أن نجحنا فى الاستيلاء عليها بسرعة

يا (جارسيا) ، فقائدها كان ينوى الفرار ، حينما رأى المدفعين الرشاشين فى أيدينا ، ونحن نطلب منه التوقف .

غمغم (جارسيا) فى سخط :

ــ هذا الغبىّ .. لقد كان يستحق رصاصتى ، التى اخترقت رأسه .

ثم زاد من سرعة سيارته ، وهو يردف فى سخرية مريرة :

ــ ولا أريد منك أن تبخل على ذلك الشيطان المصرى بالرصاصات ، حينما تتجاور سيارتانا .. أريد منك أن تحوّله إلى فتات متناثر

فى نفس اللحظة كانت (منى) تقول لـ (أدهم) فى توتر :

ــ سيلحقان بنا بسرعة يا (أدهم) ، فقوة سيارتهم تفوق قوة سيارتنا كثيرًا .

أجابها (أدهم) فى صرامة :

ــ سيكون من سوء حظهما أن ينجحا .

لم تكد عبارته تكتمل ، حتى جاورته سيارة (جارسيا) ، وأصبحت تنطلق إلى يساره تمامًا ، وهتف هذا الأخير فى شراسة :

ــ أطلق النار يا (دينو) .. حوّل هذا الشيطان المصرى إلى مصفاة .

وفى سرعة ووحشية ، رفع (رينو) فوهة مدفعه الرشاش نحو (أدهم) ، وصرخ فى غضب وسادية :

ــ الوداع أيها الشيطان .

ودوّى صوت الرصاص ، عند سفح الجبل ..

★ ★ ★

دوّى صوت الرصاص بالفعل ، ولكنه لم يكن ينطلق نحو (أدهم) .. وإنما كان اتجاهه عكسيًّا ..

كان ينطلق من مسدّس (أدهم) ، إلى رأس (دينو) ، الذى جحظت عيناه ، وسقط المدفع الرشاش من يده ، وسقطت رأسه على صدره ، وسالت منها الدماء فى غزارة ، واتسعت عينا (جارسيا) فى ذهول ، وضغط كمّاحة سيارته بحركة تلقائية ، وهو يهتف :

ــ يا للشيطان !!

ثم امتلأت عروقه بدماء الغضب ، حينما تجاوزته سيارة (أدهم) ، وابتعدت فى سرعة ، مستغلّة هبوط سرعته المفاجئ ، فصرخ فى جنون :

ــ سيكون هذا آخر ذئب جبال تقتله أيها الشيطان المصرى .

ثم ضغط دوّاسة الوقود فى قوة ، حتى كادت قدمه تخترق أرض السيارة ، وانطلق كالصاروخ خلف سيارة (أدهم) ..

وفى نفس اللحظة استعاد (سانشو) وعيه ، وحدّق فيما حوله بذهول ، وسمع (منى) تهتف :

ــ سيلحق بنا مرة أخرى يا (أدهم) .. كم رصاصة بقيت معك ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء :

ــ رصاصة واحدة يا (منى) .

تراجعت فى مقعدها ، وهى تغمغم فى خوف :

ــ يا إلٰهى !!

قال (أدهم) فى صرامة :

ــ ليس أمامنا سوى المواجهة يا (منى) .

وفى حركة سريعة ، دار بسيارته فى مهارة مذهلة ، وانطلق صرير العجلات فى قوة ، جعلت صاحب السيارة يصرخ فى ذعر ، وقد خيّل إليه أن السيارة ستنقلب رأسًا على عقب ، ولكن مهارة (أدهم) الخرافية جعلتها تتزن فى إتقان ، ثم تندفع مرّة أخرى فى مواجهة سيارة (جارسيا) ، وهتف صاحب السيارة فى رعب :

ــ ماذا تفعل أيها المجنون ؟ .. ستحطّم سيارتى إربًا ، إذا ما ارتطمت بهذه السيارة القويّة .

أجابه (أدهم) فى حزم ، وهو يواصل اندفاعه الجنونى نحو سيارة (جارسيا) :

ــ إنها رصاصة واحدة يا سنيور ، وأنا لا أحب أن أترك أى احتمال للخطإ .

حبست (منى) أنفاسها ، حينما علمت ما ينتويه (أدهم) ، واتسعت عينا (سانشو) فى ذعر ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه فى غضب ، وهتف فى أعماقه :

ــ لن أتركه يقتل (جارسيا) .. لن أترك هذا الشيطان يدمّر آخر أمل لى ، ولذئاب الجبال .

وفى نفس اللحظة التى استعدّ فيها (أدهم) لإطلاق النار ، وفى الوقت الذى لم تعد المسافة بين السيارتين تسمح فيه بإضاعة لحظة واحدة ، تعلّق (سانشو) بعنق (أدهم) ، وصرخ فى جنون :

ــ لن أسمح لك هذه المرّة أيها الشيطان .. لن أسمح لك .

★ ★ ★

١٢ ــ آخر الذئاب ..

كان ذلك الطريق ، عند سفح الجبل ، ضيّقًا ، لا يسمح بالمناورة بين سيارتين ، وكانت المسافة بين مقدمتيهما تقل فى سرعة مخيفة ، ولم يكن (أدهم) مستعدًّا لخسارة معركته ، بعد أن أصبح قاب قوسين أو أدنى من النصر ؛ لذا فقد أدار يده فى سرعة مذهلة ، ولطم وجه (سانشو) بمسدّسه ، فألقى به على المقعد الخلفى ، ثم عاد يلتفت إلى الامام ، وأطلق رصاصته الوحيدة من نافذة السيارة ، فى نفس اللحظة التى هتف فيها (جارسيا) فى ذهول :

ــ ماذا يفعل هذا الشيطان المجنون ، لو أنه ارتطم بسيارتى فسأشق سيارته نصفين ، ولن يجد الوقت لـ ..

بتر عبارته فجأة على الرغم منه ، فقد اخترقت رصاصة (أدهم) زجاج السيارة الأمامى ، واستقرّت فى رأسه ، فجحظت عيناه فى ألم وذهول ، وفقدتا بريق الحياة ، وتصلّبت قبضتاه على عجلة القيادة ، وجمدت قدمه على دوّاسة الوقود ، واستمرت السيارة فى اندفاعها نحو سيارة (أدهم) ، يقودها رجل قتيل ..

وصرخت (منى) فى رعب ، وتشبّث صاحب السيارة

بمقعده فى ذعر ، واتسعت عينا (سانشو) فى خوف ، وتجمّدت الدماء فى عروقه ، ورأى الموت يطل من سيارة تلميذه القتيل (جارسيا) ..

★ ★ ★

مطّ السفير المصرى شفتيه فى ضيق ، وهو يتطلّع إلى الحقيبة الكبيرة ، التى تمتلئ بأوراق النقد الخضراء ، وسأل سكرتيره فى حنق واضح :

ـــ هل تحتوى الحقيبة على مليون دولار كاملة ؟

أجابه سكرتيره فى ضيق مماثل :

ـــ لا تنقص دولارًا واحدًا يا سيّدى ، وستذهب كلها إلى (سانشو) .

عقد السفير حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ لم أكن أتصوّر هذه النهاية أبدًا ، حينما وصل ذلك المقدّم وزميلته إلى هنا .

ثم ابتسم فى مرارة ، وهو يستطرد :

ـــ لقد اقنعتنى ثقته بنفسه جدًّا فى البداية .. تصوّر أنه وعدلى أن يجثو (سانشو) على ركبتيه هنا أمامى ، ويطلب منى الرحمة .

زفر السكرتير فى ضيق ، وقال :

ـــ يا له من وعد !! إننى أتمنىّ الآن ألّا يطلب منا (سانشو) أن نجثُوَ نحن على الأرض ، ونتضرّع إليه أن يعيد إلينا رجل المخابرات وزميلته .

لم يكد السكرتير يتم عبارته ، حتى اقتحم أحد رجال أمن السفارة مكتب السفير ، وصاح فى دهشة واضحة :

ـــ سيّدى .. لقد وصل (سانشو) .

رفع السفير حاجبيه فى دهشة ، وغمغم فى سخط :

ـــ وما الذى يدهشك فى ذلك ؟ دعه يأتى ويتسلّم نقوده .

هتف الرجل فى حَيْرة :

ـــ ولكن يا سيّدى .....

قاطعه السفير فى حَنَق :

ـــ ولكن ماذا ؟

وفجأة اتسعت عينا السفير فى ذهول ، وتراجع سكرتيره كالمصعوق ، حينما اندفع (سانشو) بجسده الضخم داخل الحجرة ، و (أدهم) يمسك عنقه فى صرامة ، وخلفهما برزت (منى) ، وهى تبتسم فى سعادة وظَفَر ..

وهتف السفير فى فرح غامر :

ـــ يا إلهى !! .. إننى لم أتصوّر عودتك أبدًا أيها المقدّم .

ولكن (أدهم) لم يجب عبارة السفير ، وإنما ضغط عنق (سانشو) فى قوّة ، وهو يقول بالإسبانية فى صرامة مخيفة :

ـــ اجث على ركبتيك أيها الخنزير .

جثا (سانشو) على ركبتيه ، أمام عيون السفير وسكرتيره ، ورجل الأمن ، الّذين تملكهم ذهول شديد ، وغمغم زعيم الذئاب فى ضراعة :

ـــ الرحمة يا سيّدى السفير !! الرحمة يا سنيور !!

حدّق السفير فى وجه (سانشو) بذهول ، ثم رفع عينيه إلى (أدهم) ، الذى نصب هامته ، وقال فى صلابة :

ـــ لقد حقّقت وعدى يا سيادة السفير ، وهذا الوغد الراكع أمامك هو آخر ذئاب الجبال ، لقد مُحى اسم هذه المنظمة من تاريخ الإجرام إلى الأبد .

★ ★ ★

أحاط رجال أمن السفارة بـ (أدهم) ، يهنئونه فى انبهار وإعجاب ، ويسألونه أن يقصّ عليهم تفاصيل معركته مع ذئاب الجبال ، ولكنه ابتسم فى إرهاق ، وقال وهو يلوّح بذراعيه فى هدوء :



جثا (سانشو) على ركبتيه ، أمام عيون السفير ، وسـكرتيره ..

ـــ فيما بعد يا رجال .. فيما بعد .. فأنا لم أذق طعم النوم منذ ثلاثة أيام .

تقدَّمت إليه زوجة السفير بكوب من الليمون المثلَّج ، وهى تقول مبتسمةً :

ـــ اتركوه الآن يا رجال ، فلقد حقَّق المقدَّم (أدهم) معجزة ، بقضائه على أقوى منظمة إجرامية فى (بيرو) .

هتفت (منى) فى سعادة :

ـــ ولقد فعلها وحده ، ليتكم رأيتموه ، وهو يتفادى السيارة الأخرى فى براعة مذهلة ، قبل أن ترتطم بنا .

هزَّ السفير رأسه فى إعجاب ، وقال :

ـــ لقد كنت أظن أن هذا لا يحدث إلَّا فى الأفلام السينمائية الأمريكية فقط .

وهتف سكرتيره فى انبهار :

ـــ من قال هذا يا سيِّدى ؟ .. هل نسيت أنّ مخابراتنا المصرية من أعظم أجهزة المخابرات فى العالم .

تطلَّع إليه السفير فى دهشة ، ثم ابتسم ، وقال :

ـــ يبدو أن نجاحك قدْ بدَّل الكثير من الآراء يا سيِّد (أدهم) .

وافقه الجميع فى حماس ، ثم سألته زوجة السفير فى اهتمام :

ـــ ولكنك بذلت جهدًا إضافيًّا لحمل (سانشو) إلى هنا يا سيِّد (أدهم) .. هل كان ذلك بسبب وعدك للسفير فقط ؟

صمت (أدهم) لحظة ، ثم قال :

ـــ بل كان هناك سبب آخر يا سيِّدتى .. فتحطيم ذئاب الجبال يفقد قوته ، ما لم يقترن بضجة إعلاميَّة مناسبة ، ولا توجد ضجَّة إعلامية أكبر من محاكمة زعيم ذئاب الجبال ، وإعدامه .

ثم استطرد فى صرامة :

ـــ بهذا فقط يعلم الجميع أن أمن مصر أخطر من أن يحاول أى مخلوق المساس به .

مسَّت عبارته عواطف الجميع ، واختلجت لها قلوبهم ، وغمغم السفير فى حماس :

ـــ لقد انتهت أعظم مهامك بالنجاح أيها المقدَّم ، ويحق لك الشعور بالفخر الآن .

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ لا سيِّدى .. لم تنته مهمتى بعد ، فما زال هناك وغد لم يلق جزاءه بعد .

سألته (منى) فى دهشة :

ـــ من تعنى يا (أدهم) ؟

أجابها فى هدوء :

ـــ المفتش (رود) .

* * *



١٣ ـــ الختام ..

صعد المفتش (رود) إلى منزله فى خطوات سريعة ، ودسَّ مفتاحه فى ثقب الباب ، وهو يغمغم فى حنق :

ـــ تبًّا لـ (سانشو) ورجاله ، لقد اعتدت الإنفاق بسخاء ، حينما كنت أتلقىّ راتبًا شهريًّا ضخمًا منهم ، فماذا أفعل الآن ، بعد أن سقط هو فى قبضة الشرطة ، وتحطمت منظَّمته كلها ؟

دفع باب منزله فى حِدَّة ، وأغلقه خلفه فى عصبية ، ثم أشعل سيجارته ، ومدّ يده ليضىء مدخل المنزل ، ولكن يده تسمَّرت فى مكانها ، واتسعت عيناه فى ذعر ، وهو يحدِّق فى الرجل الذى يقف هادئًا فى ركن المدخل ، وسقطت سيجارته من بين شفتيه ، وهو يغمغم فى خوف :

ـــ من هناك ؟

تحرَّك الرجل نحوه فى برود ، وهو يقول :

ـــ ألم تعرفنى أيها الوغد ؟

أسرعت يد (رود) تضىء المدخل ، ثم تراجع فى رعب ، وهو يحدِّق فى وجه (أدهم) ، ويهتف فى صوت مختنق :

ـــ يا للشيطان !! .. أنت ؟!

ثم لوّح بذراعيه فى ذعر ، وهو يهتف :

ـــ لقد أمرنى (سانشو) بذلك .. إننى لم ..

أخرسه (أدهم) بلكمة ساحقة على فكه ، أعقبها بأخرى هشّمت أنفه ، وثالثة غاصت فى معدته ، سقط بعدها (رود) ، وهو يتأوّه فى ذعر وألم ، فاعتدل (أدهم) ، وقال فى برود وصرامة :

ـــ لقد انتهيت أيها الخائن الحقير .. لقد أرسلت إلى الشرطة كل ما يثبت تورطك مع ذئاب الجبال .. ستدفع ثمن خيانتك غاليًا .

حاول (رود) إيقافَ نزيف الدم الغزير من أنفه وأسنانه المحطّمة ، وهو يقول فى ذعر :

ـــ لماذا فعلت ذلك ؟ .. لماذا فعلت ذلك ؟

قلب (أدهم) شفته فى احتقار ، وقال :

ـــ هذا جزاء كل من يحاول المساس بأمن مصر .

ثم تجاوز (رود) فى هدوء ، وغادر شقته ، وأغلق بابها خلفه ، ووصل إلى مسامعه نحيب الخائن ـــ وهو يهبط فى درجات السلم بهدوء ـــ حتى وصل إلى الطريق ، فاتجه فى خطوات ثابتة هادئة إلى سيارة أنيقة ، تقف ساكنة إلى جوار الطريق ، وتجلس (منى) خلف عجلة قيادتها ، وفتح بابها الأيمن وجلس إلى جوار (منى) ، التى سألته فى هدوء :

ـــ هل انتهت مهمتك ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يغلق عينيه ، فعادت تسأله :

ـــ هل تشعر الآن بالارتياح ؟

ابتسم وهو يسند رأسه إلى مقعده فى استرخاء ، وغمغم :

ـــ كلّ الارتياح يا عزيزتى .

أدارت محرّك السيارة ، وهى تقول :

ـــ أعتقد أنه ينبغى أن ننطلق الآن إلى المطار ، فستقلع طائرتنا بعد ساعتين فقط .

أجابها فى صوت متكاسل :

ـــ افعلى ما ترينه صوابًا يا عزيزتى ، ولا توقظينى حتى نصل إلى المطار .

ابتسمت وهى تتأمله فى حنان ، ثم انطلقت بالسيارة ، وهى لا تصدّق وجوده حيًا إلى جوارها ، بعد ذلك الصراع الدامى ، وبعد كل هذا الفيض من الذئاب .. والدماء .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩